تمثيل شخصيات ملحمة جلجامش الرافدية في النحت البارز القديم*

باسم مصطفى الشمالي** **أ.د عبد الله السيد*****

الملخص

يتألف البحث من:

مقدمة: تتضمن لمحة عن تارخ الأساطير والتعريف بالأسطورة وأصلها بالفرنسية واليونانية ومعناها بالعصر الحديث. والتفريق بينها وبين الأجناس الأدبية الأخرى.

علاقة الأسطورة بالفن: نرى ذلك جلياً في أساطير الخلق وتجسيداتها الفنية من نقوش وتماثيل و أختام قديمة في حضارات متعددة.

ملحمة جلجامش: وفيها تعريف بالبطل و بالقصة الأسطورية.

مشاهد الصراع في الأسطورة: تتجسد هذه المشاهد في الملحمة على الشكل الآتي:

- **صراع جلجامش مع أنكيدو**
- **الصراع بين جلجامش وأنكيدو مه هوواوا مرةً، ومع ثور السماء مرةً أخرى.**
- **صراع جلجامش مع الحيوان المفترس.**

الشخصيات المحورية في المشاهد المجسدة بالأسطورة: شخصية جلجامش، أنكيدو، هوواوا، ثور السماء، الإنسان العقرب. الآلهة (شاماش، عشتار، آن). لينتهي البحث بالخاتمة وملحق الصور.

الكلمات المفتاحية: ملحمة جلجامش – الأسطورة والفن – مشاهد الصراع.

* أُعدَّ هذا البحث في سياق رسالة الماجستير للطالب باسم مصطفى الشمالي بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله السيد

** قسم النحت- كلية الفنون الجميلة- جامعة دمشق

*** قسم النحت- كلية الفنون الجميلة- جامعة دمشق

أ- المقدمة:

سطرت حضارة بلاد الرافدين تاريخاً خصباً بالأساطير المتعلقة بقصص الخلق والخصب وأسرار الحياة وعقائد الخلود، كانت أبطال هذه الأساطير الآلهة وتحدثت عن أشخاص تاريخية عاشت فعلاً ضمن أحداث حقيقية، عَمِل الخيال البشري على تعظيمها وإضفاء صفات القدسية والبطولة الخارقة عليها مع مرور الزمن. وقد مُثِّلَت صور هؤلاء الأبطال في الفن القديم على العديد من النقوش والمنحوتات، ولمّا كنّا سنتطرق في موضوع هذا البحث لملحمة جلجامش الرافدية والشخصيات الممثَّلة بها في النحت فلابدَّ لنا بدايةً من تحديد مصطلح التمثيل هنا، إذْ وَرَدَ عند جميل صليبا أن "مثّل الشيء بالشيء: سوّاه، وشبهه به، وجعله على مثاله، ومثّل الشي لفلان صوره له، بالكتابة أو غيرها، حتى كأنه ينظر إليه. فالتمثيل إذاً هو التصوير والتشبيه."[1] ويقول لالاند في معنى **مَثَّل**: "عرض على الحواس، بكيفية راهنة وعينية، خَيّلةَ شيء غير واقعي، غائب، أو يستحيل إدراكه مباشرة (لوحة تمثل معركة سانتور Centaures) "2

ومن المهم هنا التطرق إلى تعريف الأسطورة والملحمة، **فما الاسطورة** (MYTHE):

"كلمة (MYTHE) "ميثة"، هي الصيغة الفرنسية للكلمة اليونانية "ميثوس"، وتعني "كلام، خطاب". في الاستعمال اليوناني، كما في الحديث، يدلُّ المصطلح على رواية أو حكاية تؤدي فيها الآلهة بالمعنى الأوسع للكلمة دوراً أو عدداً من الأدوار الأساسية" 3 ويميّز فرس السواح في هذا بين الأجناس الأدبية المختلفة، بين الأسطورة والخرافة والحكاية البطولية والحكاية البطولية الإخبارية والحكاية الشعبية، كما يخلص إلى وضع تعريف للأسطورة فيقول "إن الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معانٍ ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"4، وفي تعريف آخر للأسطورة هي "قصة أو مأثور يحمل بالطبع والضرورة سمات العصور الأولى والقديمة، مفسرة معتقدات الناس بإزاء القوى العليا والسماوية، آلهتهم، وأنصاف آلهتهم، أبطالهم، وخوارقهم و معتقداتهم الدينية، وكما يذكر سير (م.ل جوم) فإن غرض الأسطورة هو التفسير فضلاً عن الغايات التعليمية، والاعتقادية، فالأسطورة تفسير لقضايا أو أصل العلم وجوهره في عصور ما قبل العلم"[5]

فهي حكاية مقدسة لأن أبطالها الأساسيين هم في الغالب الآلهة، ولها مضمون عميق يخرج بعبرة أو حكمة، تتناول الأسئلة التي شكلت بحدود ما أهم إشكاليات الوجود والخلق والأصول والحوادث، التي أرقت الفكر الإنساني على مر العصور بحثاً عن تفسير لها أو إجابة عنها.

أمَّا عن **الملحمة** (Epic) بشكل خاص، فيحددها فراس السواح بأنها "تأليف شعري عالي المستوى يقص سلسلة

---

1 صليبا. جميل- المعجم الفلسفي-بيروت-دار الكتاب اللبناني-ــــ جزء1 - 1982- ص 341

2 لالاند، أندريه ــ الموسوعة الفلسفية ــ (3 مجلدات) ـــ المجلد 3ـــ ترجمة: أحمد خليل، خليل ـــ تعهده وأشرف عليه حصراً: أحمد عويدات ــ بيروت/لبنان ــ عويدات للطباعة والنشر ــ 2008– ص1211

3 - هجرتي كراب، الكسندر – ولادة الأساطير (البدايات الأولى)- ترجمة : نهاد خياطة - تقديم وتعليق: خالد جعفر -ط1 - مكان النشر:بلا - دار النشر:بلا - 2005 - ص13

4 - السواح، فراس – الأسطورة و المعنى – ط2- دمشق – دار علاء الدين للنشر – 2001– ص 14

5- الباش، حسن– الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي–ط1– دمشق–دار الجليل–1988– ص 51.

من أعمال ومنجزات أحد الأبطال، وتجري معالجتها بإطالة و تفصيل على شكل نص مضطرد"[1]و عادةً ما تتحدث عن معارك يكثر فيها القتل والصراع.

ب- علاقة الأسطورة بالفن:

"ظهر التشكيل في العصور الأولى قبل التدوين فما كان يروى شفهياً من آداب وأساطير وحكايات متناقلة برموزها ودلالاتها وظفت بالتشكيلات الفنية وبتفاصيلها المغرقة في الرمزية، إن تلك الأشكال التي وجدت انتقت صفاتها من تحولات المنطق الفكري وصِيغ بسياقٍ شكلي ذي دلالات مقصودة"[2] فمنذ البدء، ارتبطت الأسطورة بالفن، نرى ذلك جلياً في أساطير الخلق وفي التجسيدات الفنية من نقوش وتماثيل وأختام قديمة في حضارات مختلفة كالحضارة الرافدية، والفرعونية، والإغريقية، والهندية وغيرها، حيث "تجد الرسم والنحت والنقش وغيرهما مما يدخل في دائرة الفنون التشكيلية – وكثير منها نما في حضن الأسطورة – يقدم منافذ للخيال حيث تبعث من مرقدها تلك الإنسانية التي أمست أثراً بعد عين. وبذلك تستبقي الضروب الكثيرة من التشكيلات الفنية مآثر الماضي من حكايات تخترع، وأساطير يعاد بناؤها على نحو جديد، وحكايات تمزج الميثولوجيا بالتاريخ "3 ، وكانت هذه التشكيلات تأخذ بالحسبان تمييز الأبطال والآلهة والملوك عن البشر العاديين من خلال المبالغة في أحجامهم وأطوالهم وتحميلهم رموزاً، ونقوشاً تميّز ثيابهم وبرفقتهم عناصر مقدسة.. وكانت هذه المبالغات والتضمينات تتناسب والسرد الوصفي للشخصية ووظيفتها في الأسطورة، مثال ذلك حين "بُولغ بوصف كلكامش بشكله الأسطوري، وقوته وطوله ومعرفته، في قوة السرد والبناء الشكلي الفني للحدث أو البطل، فوصفه كان واقعياً بصفات إنسانية فيها كثير من المغالاة"[4]. أمَّا حديثاً فنرى كثير من المشاهد الأسطورية تمثلت في أعمال فناني أوربا وغيرها مثال آنجلو، بيرنيني، رافائيلو، وغويا، ألجريكو، فلاسكويذ... وحتى بيكاسو.. أي إنَّ فناني عصر النهضة والحداثة لم يختلفوا كثيراً عن فناني الحضارات القديمة في طرح موضوعات الأسطورة ومشاهدها في أعمالهم.

جـ- ملحمة جلجامش في سطور:

جلجامش .. ملك سومري حكم في مدينة "أوروك" ويفترض أنه عاش كشخصية تاريخية حقيقية بين القرنين الثامن والعشرين والسابع والعشرين قبل الميلاد، ويُوصَفُ بأن ثلثيه إله والثلث الأخير بشر. أرهق مواطنيه بأعمال السخرة مما دعى الآلهة الأم "أورورو" لخلق "أنكيدو" ليكون نداً ومنافساً له الذي أصبح بعد عراك معه صديقاً له في رحلة بحثه عن عشبة الخلود، التي تشكل محور الأسطورة الأساسي.

اعتزم جلجامش وصديقه القيام برحلة مغامرات إلى غابات الأرز لقتل حارسها الوحش "هوواوا" المعين من قبل الإله "إنليل" ونجحا في مسعيهما بمساندة الإله الحامي لجلجامش "شاماش".

1 فراس السواح – الأسطورة و المعنى ص 17

2 -سعدون العذاري، أنغام ــ بنية التعبير في الفن العراقي القديم ــ ط 1 ــ عمان/الأردن ــ دار مجدلاوي للنشر والتوزيـــع ــ 1426 هــ/2005م ــص 120

3 -زكي، أحمد كمال –الأساطير"دراسة حـضارية مقارنـــة"، ط1، 1979، دار العودة، لبنان بيروت، ص145

4 -سعدون العذاري، أنغام ــ بنية التعبير في الفن العراقي القديم ــ ط 1 ــ عمان/الأردن ــ دار مجدلاوي للنشر والتوزيـــع ــ 1426 هــ/2005م ــص.ص 77،78

وقعت "عشتار" بعدها بغرام جلجامش الذي صدها عنه، فانتقمت منه بأن طلبت من أبيها "آن" أن يرسل له ثور السماء ليعيث فساداً في أوروك لكن جلجامش تمكن من صرعه مما شكل غضب الآلهة التي انتقمت من جلجامش بموت صديقه "انكيدو". فهام على وجهه حزناً عليه واختبر معنى الموت فبدأ رحلته في البحث عن سر الحياة لدى "أوتنابشتي" الإنسان الخالد الوحيد، وفي طريقه إليه اعترضه حراس جبل "ماشو" الممثلون بهيئة أُناسٍ عقارب فتمكن من الإفلات منهم. وبعد لقائه "سيدوري" ساقية الحانة وعبوره نهر العالم السفلي مع ربان القارب "أورشنابي" وصل إلى "أوتنابشتي" الذي دله بعد جهد على نبتة الحياة فأحضرها جلجامش من أعماق البحر. وفي طريق عودته غافلته أفعى وسرقت منه عشبة الحياة فعاد لموطنه خائباً، وكُتب للأفعى تجديد شبابها .

د- مشاهد الصراع في الملحمة:

يعدُّ مشهد الصراع من المشاهد المتميّزة والغنية بالفن الرافدي الملحمي، وكان هذا الصراع "علاقة تنافس وبقاء ووجود، يتخذ الصراع شكله بين طرفين متناقضين في ضوء التكافؤ بينهما، ويكون الصراع بالتقابل ضد مجموعة أو واحد، هدفه إمَّا تحطيم المقابل، أو السيطرة عليه، يؤدي الصراع إلى التطور أو إلى التغيير، وبفضله تتكيف الأنواع، وهو قوة دافعة محركة للتلاؤم في محيط الكائنات"[1]. وتتجسد بعض مشاهد الصراع في ملحمة جلجامش على الشكل الآتي:

_ الصراع القائم بين جلجامش وانكيدو: هدفه الانتقال للصداقة أي تغيير الحال.

_ مشهدا الصراع القائم بين جلجامش وانكيدو مع هوواوا مرةً، ومع ثور السماء مرةً أخرى: وله شكل صراع تحطيم المقابل.

_ صراع جلجامش مع الحيوان المفترس (الوحش): ويندرج تحت تحطيم المقابل والسيطرة عليه، ويتغيّر هنا المشهد ويتطور من الصراع (شكل رقم1-2-3-4) إلى السيطرة والمرافقة، كما نرى في الشكل (5).

أمَّا من الناحية التقنية والأسلوبية التي أتت عليها هذه المشاهد (الأشكال 1-2-3-4 بشكل خاص) فإننا نلاحظ وجود خطوط مختلفة الأنواع منحنية أو مستقيمة ذات اتجاهات عامودية أو أفقية أو مائلة تتناسب وتكوين العمل. والسطوح متعددة فهي ملساء خالية أو كثيفة تحتوي عناصر على شكل (شعر، وكتابات مسمارية، ورموز إلهية، فضلاً عن بعض العناصر النباتية والحيوانية) والتكوين بشكله العام مترابط العلاقات. أمَّا من ناحية حجوم العناصر فإننا نشاهد أن حجم البطل كان موازياً في حضوره -غالب الأحيان- لحجم الوحش الذي يصارعه، وفي ذلك دلالة على موضوع تقابل القوى بين البطل والوحش، في حين أن الحيوان الأليف الذي يدافع عنه البطل كان أصغر حجماً وهامشياً للدلالة على ضعفه. كما تبرز هنا أهمية استخدام الأختام الأسطوانية لما فيها من عملية تكرارية متوالية للمشهد المتمثل بالصراع وذلك دلالة على تكرار فعل القتل بهدف تأكيده.

ويمكن لنا مقارنة مشهد الصراع الأخير مع مشاهد صراع من حضارات أخرى، كالحضارة الإغريقية مثلاً، إذْ نرى مشهد صراع لهرقل مع الهيدرا ذات الرؤوس التسعة (شكل 17)، وكذلك مشهد للبطل ثيسيوس وهو يصرع الميناتور المتوحش (شكل 18)، وما يميّز الأسلوب المتبع في المشاهد الإغريقية هنا هو الاقتراب أكثر نحو الواقعية من خلال الاعتناء بالتشريح، فضلاً

1 سعدون العذاري، أنغام ــ بنية التعبير في الفن العراقي القــديم ــ ط 1 ــ عمان/الأردن ــ دار مجدلاوي للنشر والتوزيــع ــ 1426 هــ/2005م ــ ص 64-65.

عن أن المشاهد خلت من الرموز الإلهية وغيرها وتم التركيز على فعل الصراع فقط مع ظهور عارٍ بشكل كامل للبطل. أمَّا في الحضارة المصرية فنشاهد مشهداً لِحورس وهو يمتطي فرساً ويصرع وحشاً ممثلاً بالتمساح (شكل 19).

لا يمكن إغفال أن مشاهد الصراع عامة التي تقوم على التناقضات كانت تمثل صراع رموز الحياة و الموت و تقوم على جولات تنتصر بها الحياة الممثلة بغلبة جلجامش على الوحش تارةً، و غلبة الموت من خلال موت انكيدو وخسارة جلجامش لنبتة الحياة تارةً أخرى، لكن جلجامش، حتى حين فقد النبتة، عاد ليبني أسوار أوروك لتبقى أعماله خالدة، وأيقن أن الخلود هو خلود الأعمال والأثر والسمعة وليس خلود الأجساد، ولا يمكن هزم الموت إلا بهذه الطريقة.

ه- الشخصيات المحورية في المشاهد المجسدة بالأسطورة:

- **جلجامش** :

لم تكن شهرة جلجامش وانكيدو في العالم القديم بسبب القصص والأساطير فقط، ولكن استمرت شهرتهما من خلال المنحوتات والخواتم الأسطوانية التي تمثلهم، "ففي خواتم عصر فجر السلالات (3000 – 2400 ق.م) كثيراً ما يمثل البطل وهو يصارع الحيوانات البرية المفترسة وقد عين هذا البطل بجلجامش"[1] وفي المنحوتات الآشورية الموجودة في قصر الملك الآشوري سرجون في عاصمته خورباد (720-702 ق.م) نجد جلجامش قد مُثل في نحتٍ بارز وبحجم كبير، وهو يحمل بإحدى يديه ساطوراً ويهصر بيده الأخرى أسداً ظهرَ

1- باقر،طه– ملحمة جلجامش- بلا- بلا- بلاص20

صغير الحجم للدلالة على ضخامة وعظمة البطل (الشكل 5) ونلاحظ فيه القوة المبالغ فيها من خلال إبراز العضلات القوية. جاء التمثال ذا تكوين مترابط وحركته ظاهره من خلال الأرجل التي تتقدم إحداها على الأخرى ونظرة العينين المواجهة والبعيدة المدى.

- **انكيدو**:

صديق جلجامش وهو إنسان متوحش كثيراً ما "مُثِّل بالفن بشكل مركب من رأس وصدر بشريين وقسمه الأسفل (ولاسيَّما الخلفي) بهيئة ثور"[2] وكان يضع على رأسه قرني ثور علامة الألوهية، وكثيراً ما نجد تمثيلاً ثنائياً لكل من جلجامش وانكيدو في مشهد واحد بينهما الإنسان الثور رمز الخير وشجرة الخصب والخير أيضاً، (الشكل 6) يجدر الذكر أن انكيدو يظهر في "الملاحم السومرية الآتية: (جلجامش وهوواوا) إذْ يغري انكيدو جلجامش بقتل (هوواوا) كما يظهر في (جلجامش وانكيدو والعالم السفلي)"[3]

- **هوواوا** :

(بالأكدية همبابا) يظهر في ملحمة جلجامش كحارس انليل على غابات الأرز، يوصف كعملاق محمي بسبع طبقات من الإشعاع المرعب ، قتل من قبل جلجامش وانكيدو.

غالباً ما يصور همبابا في الفن بجسم إنساني له مخالب أسد على يديه، وجهه قبيح، شعره طويل وله لحية (الشكل 7)، تصور اللوحات المنقوشة والأختام في الألف

2 - المرجع السابق – ص20

3 د.ادزارد، م. هـــ. ف. بــوب، ف. رولنــغ- قــاموس الآلهــة والأساطير- ط2- تعريب: محمد وحيد خياطة- بيــروت/لبنــان و حلب/سورية – دار الشرق العربي - 2000م –ص101.

الثاني والأول قبل الميلاد قتله على يد جلجامش وانكيدو، إذْ يظهر وقد ثبتوه أرضاً بأقدامهم وانكيدو يقطع رأسه بسيفه (الشكل 8).

"النموذج البابلي لوجه هوواوا (رصد في التاريخ منذ البابلية القديمة حتى البابلية الحديثة) يرتبط بالتنجيم: بعضها منقوش عليها عبارة (عندما تكون الأمعاء مثل همبابا)... اعتُقِدَ أن مثل هذه النماذج استخدمت في تعليم التنبؤ (الشكل 9). لكن في الحقبة البابلية القديمة شوهدت أوجه همبابا تكراراً على ألواح الطين وتصاميم الأختام، حيث وضعت بشكل عالٍ على الخلفيات، كما لوكانوا يعلقونها على الجدران – ربما كتعويذة سحرية- كما نُحِتَ وجه همبابا في حجر على جانب بوابة معبد في الحقبة البابلية القديمة في تل الرماح"[1].

- **ثور السماء**:

كائن خيالي يتألف من جسم ثور، ورأس بشري وأجنحة طائر

"يكتب في اللغة السومرية (جو ــ أن ــ نا) وفي اللغة الأكدية (ألو)، وهو الثور الذي خلقه الإله (آن) إرضاء لابنته (إنانا) لتنتقم به من جلجامش وتشفي غليلها منه، فيدمر مدينة (أوروك) ويزرع الذعر بين أهلها، إلا أن جلجامش يتمكن منه ويجهز عليه بمساعدة صديقه (إنكيدو).(شكل رقم 10)

وكان يوصف إله الطقس (إشكور ــ إدد) بالثور أو الثور الكبير أو ثور السماء، لأنه يجسد قوى الطبيعة والخصب".[2]

"قام جلجامش بإهداء قرني الحيوان إلى إلهه الخاص (لوكالباندا) وقد وردت القصة في كل من القصيدة السومرية (جلجامش وثور السماء)، وفي الجزء السادس من (الملحمة البابلية جلجامش)، ويظهر (ثور السماء) كمجموعة نجوم متألقة هي برج الثور. كما أن قصة (إينكيدو) الذي يرمي فخذ الثور على عشتار، تحاول أن تقدم تفسيراً على عدم وجود الربعين الخلفيين لجسم الثور في مجموعة النجوم".3

- **الإنسان العقرب**:

المقصود به كائن نصفه العلوي مؤلف من جسم بشري ونصفه السفلي من جسم عقرب مع الذيل اللذي يحمل إبرة اللدغ.

(يسمى في اللغة السومرية (جير تبلولو) وانتقل المصطلح كما هو إلى اللغة الأكدية.... ويحرس (الإنسان ــ العقرب) سواء كان امرأة أو رجلاً بوابه جبل (ماشو) الأسطوري الذي يدخل منها إله الشمس صباحاً ويغادرها مساءً (ملحمة جلجامش ــ اللوح التاسع).... وقد عثر على أقدم تصوير للإنسان العقرب داخل القبور الملكية في أور، كما كان مصوراً على منحوتات أحجار الحدود من العصر البابلي الوسيط وهو يشد قوساً بنبلة].4 (الشكل 11) أمَّا المنحى الوظيفي لهذه الكائنات الخيالية فقد كان سحرياً من جهة ونفسياً من جهة أخرى حيث "أثارت الخوف والرعب في نفس جلجامش، كان منظرهم مخيفاً ونظراتهم الموت وكان سنا هالاتهم المخيف يغطي الجبال... ولمّا نظر جلجامش إليهم غشى وجهه غمامة من الخوف والرعب، فالتصوير الرمزي الأدبي يهول الصفات ويمنحها بعداً موغلاً في الترهيب أو الاستعراض".[5]

---

1 -Jeremy Black, Anthony Green:Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary, 1992, University of Texas Press.P 106

2- د. إدزارد: قاموس الآلهة والأساطير، مرجع سابق، ص 117

3 -Jeremy Black, Anthony Green: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia .P.49

4- د.إدزارد: قاموس الآلة والأساطير، مرجع سابق، ص155.

5- سعدون العذاري، أنغام ــ بنية التعبير في الفن العراقي القديم ــ ط 1 ــ عمان/الأردن ــ دار مجدلاوي للنشر والتوزيــع ــ 1426 هــ/2005م ــ ص119 .

في العصر الأكدي، ظهر هذا "المخلوق الخارق ذو القبعة المقدسة ذات القرنين، برأس بشري ولحية يملك أجنحة أو لا يملكها،.... كان معروفاً في العصور الآشورية والبابلية الحديثة، وقد نجا هذا النموذج، فنياً، حتى العصر الهلينستي.... كان الرجال العقارب أيضاً حماة أقوياء ضد الشياطين وذلك بحلول العصر الآشوري الحديث. وقد وضعت التماثيل الخشبية الخاصة بهم، متزامنة مع تماثيل الشياطين والوحوش الرحيمة الأخرى... وشوهد على شكل أيقونة وكتركيب مختلف قليلاً، برأس بشري، جسم طائر كامل وساقيه، وذيل عقرب، وذلك في فن العصر الكشي، الآشوري الحديث، البابلي الحديث، والسلوقي. وليس من الواضح إن كان هذا هو أيضاً (جير تبلولو).[1] (الشكل 12)

ويظهر هذا الكائن أيضاً في ""تل حلف" كتمثال وهو حارس باب الآخرة، ونجده على خاتم آشوري من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ويجوز استناداً إلى ذلك أن يدرج في صف أشباح الموت"2 (الشكلين 13-14)

- **الآلهة:**

- **شاماش:**

وقد ورد شمش كإله حامٍ لجلجامش في رحلته، وهو إله الشمس "يصور وهو يخرج من بين جبلين وألسنة اللهب تخرج من كتفيه، و الشكل التجريدي له يصور بقرص أو عجلة في داخلها أربعة أضلاع بشكل صليب تنبعث منه أشعة، وقرص مجنح للدلالة على الحركة من الشرق إلى الغرب وهو إله العدل يتغمد العالم بضيائه ويزيل الظلمة"[3] (شكل15-16) وتجدر الإشارة أن المفاهيم الرافدية عُدَّتْ أن الآلهة كانت رموزاً لقوى الطبيعة. أمَّا الحركة المتجسدة في الرجل فهي توحي بالصعود أو البزوغ، تأكيداً لبداية حلول النور.

- **عشتار** :

"هي إلهة الجنس والحبّ، والجمال والحرب عند البابليين، وهي ابنة (آنو)، يقابلها لدى السومريين(إنّانا)، و(عشترت) الفينيقية، و(أفروديت) عند اليونان، و(فينوس) عند الرومان. وهي نجمة الصباح والمساء معاً رمزها نجمة ذات سبعة أشعة منتصبة على ظهر أسد، على جبهتها الزهرة، وبيدها باقة زهر. رفضها جلجامش رغم محاولة إغوائها له. سلاحها السيف والصولجان ذو الرأسين"[4]، تظهر عشتار في الفن كآلهة حرب مجنحة في الغالب وتمسك بسلاح في قبضتها، وفي إشارة إليها تظهر في (الشكل10) وهي بجوار جلجامش وانكيدو في أثناء صرعهم ثور السماء "محاطة بهالة من النجوم"[5]، وهذا ما نراه على قبعتها التي تشير إلى الألوهية، وثيابها المزركشة بالحلي.

- آن:

"يعني هذا الاسم في اللغة السومرية (الأعالي،السماء)، و يلفظ بالآكادية (آنوم) أو (آنو)، ... و(آن) هو الإله

1 -Jeremy Black, Anthony Green: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia.P 119

2- مورتكارت. انطون: تموز عقيدة الخلود والتقمص، ترجمة: توفيق سليمان، دمشق، 1985، ص240.

3- سعدون العذاري، أنغام ــ بنية التعبير في الفن العراقي القديم ــ ط 1 ــ عمان/الأردن ــ دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ــ 1426 هــ/2005م ــ ص135 .

4 - بادنجكي، طاهر – قاموس الخرافات والأساطير – ط1 – طرابلس/لبنان – جروس برس – 1996 – ص 164-165 .

5 -Jeremy Black, Anthony Green: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia.P 109

الرئيس في مجمع الآلهة السومري"[1]، وبشكل عام كان لا ينظر إلى (آن) على أنه إله محب للبشر فقد أرسلَ ثور السماء بناءً على طلب عشتار انتقاماً من صد جلجامش لها، وهو أبو الآلهة عشتار.

و- الخاتمة والنتائج:

لم تتوقف شخصية البطل الأسطوري جلجامش عند حدود بلاد ما بين النهرين بل امتدت إلى حضارات أخرى، ففي "مصر شخصية جلجامش يدعونها (سوم) أو (شوف) وشخصية (شمشون) العبرية تعكس شخصية جلجامش. وربما شخصية (هرقل) الطيبي اليونانية انعكاساً لشخصية (جلجامش) أيضاً. كذلك شخصية (ثيسيوس) (ابن "بوسيدون" إله البحر، لأن أمه كانت عشيقته) وهو الذي قتل (الميناتور):"الثور الكريتي المتوحش" وهبط مع صديقه المخلص (بيريثوس) إلى العالم الأسفل /كما جلجامش وانكيدو/، وكذلك يمسك العالم السفلي بصديق (ثيسيوس) الذي يصعد تاركاً صديقه في مملكة الظلام"[2] ولكن أسطورة جلجامش تميّزت بأنها "...لا تنتهي إلى خاتمة منسجمة، بل تبقى عواطفها في احتدام. وليس فيها أي شعور بالتطهير -الكثارتس- كما في المأساة، أو أي قبول أساسي لما لا مرد له."[3] لكننا وبالمقابل نرى في نهاية قراءة النص الملحمي أن جلجامش وبعد أن انتهى من مغامراته وخسر عشبة الخلود التي بحث عنها طويلاً عاد إلى واقعه وقام بتشييد أسوار مدينة أوروك (شكل 20) و"عرف جلجامش من خلال معاناته الشخصية الطويلة أن خلود الإنسان لا يكمن بالاتحاد مع الإلهة (جسدياً)، وإنَّما في الأعمال العظيمة التي يقوم بها."[4] فقد مات جلجامش، ولكنه سواء وعى أم لم يعِ فقد انتصر على الموت وبقيت ذكراه خالدة بما بقي من أعماله وما سطر التاريخ له من بطولات.

ولا بدّ من الإشارة أخيراً، أن أسلوب النحت البارز(الروليف) والأختام الأسطوانية في تجسيد مشاهد الأسطورة كان أكثر استخداماً من النحت المجسم؛ وذلك لكونه الأنسب من الناحية التعبيرية والتقنية ولما استطاعت سطوحه أن تحمله كثير من الإشارات الإلهية والرموز والنقوش والكتابات، وهذا ما يمكن رؤيته من خلال الأختام التي استُعرضت مسبقاً والممثلة لمشاهد الصراع وغيرها، بل إنَّ هذا النوع من النحت شكَّلَ بحدودٍ ما لغةً تصويرية حوّلت تلك الأساطير إلى خطاب بصري مُجسدٌ و ملموس.

1 د.ادزارد، م. هـ. ف. بوب، ف. رولنغ- قاموس الآلهة والأساطير- ط2- تعريب: محمد وحيد خياطة- بيروت/لبنان وحلب/سورية – دار الشرق العربي - 2000م – ص 86

2 - نحاس، جورج.ف- أساطير الخصب الإنباتي في حضارات الشرق الأدنى الآسيوي – ط1 – دمشق – منشورات وزارة الثقافة – 2006 – ص 54

3 - هـ. فرانكفورت وآخرون- ما قبل الفلسفة- ترجمة جبرا إبراهيم جبرا- منشورات دار مكتبة الحياة (فرع بغداد) - 1982 – ص 251

4- مورتكات،انطون – فنون سومر واكاد – ترجمة: محمد وحيد خياطة – ط1 – العربي للطباعة والنشر والتوزيع – سورية ،دمشق،1988-ص.ص 80،79

جدول تحليل وصفي لبعض مشاهد الصراع في الملحمة

رقم الشكل	اسم العمل- النوع-المقاس	عنوان المشهد التمثيلي	البناء التشكيلي والتحليل الفني	نوع الصراع في المشهد بالمقارنة بحضارات أخرى	مكان العمل وتاريخه
1	ختم أسطواني	جلجامش يصرع الوحش	تفصل الرسوم والأشكال قضبان قصب عمودية ونقوش كتابية- كتلتا الشكلين تتمثل بشكل متناظر التصميم والتنفيذ في مستوى رفيع	صراع تحطيم المقابل يقارب الشكل 19 حورس المصري المقاتل يصرع الوحش المتمثل بالوحش	آكادي
2	ختم أسطواني	جلجامش يتصارع وأنكيدو	السطوح كثيفة بالعناصر والزخارف والأشكال التي تؤلف فيما بينها شريطاً متماسكاً ومترابط العلاقات فيما بينها	صراع هدفه الانتقال للصداقة أي تغيير الحال	-
3	ختم أسطواني	جلجامش وأنكيدو يصرعان الوحش	من ناحية حجوم العناصر نشاهد أن حجم البطل كان موازياً في حضوره -غالب الأحيان- لحجم الوحش الذي يصارعه وفي ذلك دلالة على موضوع تقابل القوى بين البطل والوحش	صراع تحطيم المقابل يقارب صراع ثيسيوس مع الميناتور	-
4	ختم أسطواني	جلجامش وأنكيدو يصرعان الوحش	شريط من الأشكال المتصالبة (مشهد صراع) - جلجامش وانكيدو مع الثور ويشكلان ثلثي مساحة الختم، وجلجامش وحده يصارع الأسد- الجانب الأيمن - ملمس الأرضية التي تبرز عليها الاشكال خشنة	صراع تحطيم المقابل	العصر الآكادي (النصف الثاني من الألف الثالث ق.م)
5	باروليف	جلجامش يمسك بشبل أسد	جلجامش يحمل باحدى يديه ساطوراً ويهصر بيده الأخرى أسداً ظهرَ صغير الحجم للدلالة على ضخامة وعظمة البطل، ونلاحظ فيه القوة المبالغ فيها من خلال إبراز العضلات القوية. التمثال ذو تكوين مترابط وحركته ظاهره من خلال الأرجل التي تتقدم إحداها على الأخرى ونظرة العينين المواجهة والبعيدة المدى.	السيطرة على الوحش وتحوله لمرافق	القرن 8 ق.م – خورسباد – متحف اللوفر
8	رسم لموديل من الطين المشوي	جلجامش و انكيدو يقتلون الوحش همبابا	يقترب المشهد من التمثيل الواقعي في الطرح – يمتلئ بالحركة التي توضح الانفعال – ترتبط العناصر بعضها ببعض بعلاقات متينة شكلية و معنوية تؤكد الناحية الوظيفية المطلوبة من المشهد	صراع تحطيم المقابل يقارب صراع ثيسيوس مع الميناتور	الحقبة البابلية القديمة
10	ختم من الحجر الأزرق- ارتفاع 28مم	البطلان جلجامش و انكيدو يصرعان ثور السماء المرسل من قبل عشتار	ثور السماء على مستوى منخفض مُحاط بجلجامش وانكيدو – الختم منفذ بدرجة عالية من الدقة والعناية بالتفاصيل- غنى واضح بالرموز الحيوانية والنقوش الزخرفية – يبدو الوحش أصغر حجماً من البطلين دلالة على عظمة البطل.	صراع تحطيم المقابل يقارب صراع هرقل مع تنين الهيدرا	الحقبة البابلية الحديثة



الشكل (1)

ختم اسطواني آكادي يمثل موضوع الصراع- تفصل الرسوم قضبان قصب عمودية ونقوش كتابية- التصميم والتنفيذ في مستوى رفيع



الشكل (2)

الشكل (3)

الشكلين 2 و 3: من الخواتم الأسطوانية التي مثلت فيها بعض حوادث الملحمة وبطلا الرواية جلجامش وانكيدو



الشكل (4)

طبعة ختم أسطواني – مشهد صراع – العصر الآكادي (النصف الثاني من الألف الثالث ق.م) – ملحمة جلجامش



الشكل (5)

جلجامش يمسك بشبل أسد-القرن8 ق.م -خورسباد -متحف اللوفر



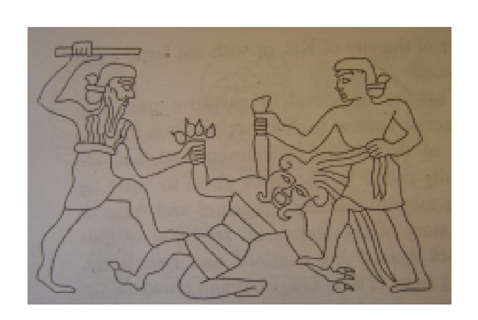
الشكل (6)

جلجامش وانكيدو والإنسان الثور(رمز الخير) – ختم أسطواني الألف 3-2 ق.م طول 4.6 سم



الشكل (7)

همبابا – بداية الألف الثاني قبل الميلاد – حجر – متحف لندن



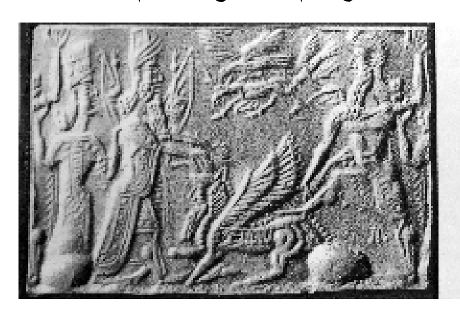
الشكل (8)

جلجامش وانكيدو يقتلون الوحش همبابا – رسم لموديل من الطين المشوي من الحقبة البابلية القديمة



الشكل (9)

لوح من الطين المجفف بالشمس – الحقبة الآشورية الحديثة- غالباً القرن السابع ق.م – ارتفاع 128 مم



الشكل (10)

البطلان جلجامش وانكيدو يصرعان ثور السماء المرسل من قبل عشتار-ختم من الحجر الأزرق-الحقبة البابلية الحديثة-ارتفاع 28مم



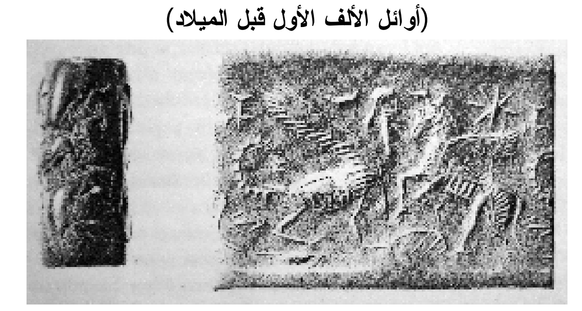
الشكل (11)

الإنسان – العقرب : منحوته "كودورو" تحمل عدة رموز لعدة آلهةبابلي الحقبة البابلية (مرحلة حكم الملك نبوخذ نصر)1104-1125 ق.م - سماكة 0.56 مم



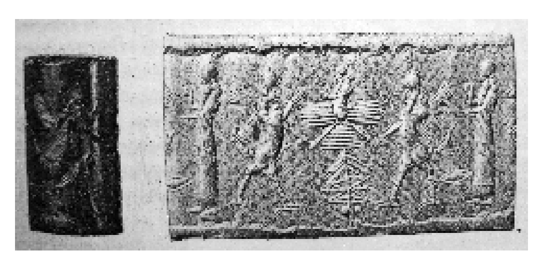
الشكل (12)

منحوتة مجسمة من الحجر تمثل الرجل العقرب – العصر الآشوري (أوائل الألف الأول قبل الميلاد)



الشكل (13)

الإنسان العقرب –مجنح- آشوري الحقبة الآشورية الحديثة طول 29 مم ختم أسطواني



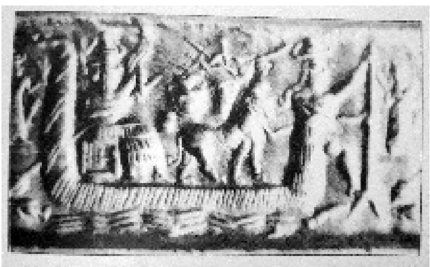
الشكل (14)

الإنسان – العقرب رمز للإله (إشارا) بابليفترة الكاسيت16-12ق.م بلاد الرافدين بابل كودورو – ختم أسطواني



الشكل (15)

ختم أسطواني آكادي الألف الثالث قبل الميلاد "شمش" إله الشمس وبيده المنشار وتنطلق حزمة ضوئية من كتفيه – متحف لندن-



الشكل (15)

ختم اسطواني "آكادي"، "تل أسمر" (أشنونا-يقع في سهل نهر ديالى على مسافة 30 كم من شمال شرقي بغداد) النصف الثاني من الألف 3 قبل الميلاد – شمش في قاربه



الشكل (17)

هرقل يصرع تقتل التنين –هيدرا- ذا الرؤوس التسعة- عملة ذهبية ستاتير 300ق.م



الشكل (18)

ثيسيوس يصرع وحش المينوتور



الشكل (19)

حورس الصغير المقاتل يغرس رمحاً في التمساح تحت جواده – حجر رملي – قرن 4ق.م-اللوفر



الشكل (20)

– أسوار مدينة أورك –رسم عن الأصل

المراجع:

1. بادنجكي، طاهر: قاموس الخرافات والأساطير، ط1،طرابلس/لبنان،جروس برس، 1996
2. الباش، حسن: الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، ط1، دمشق، دار الجليل، 1988
3. باقر،طه: ملحمة جلجامش، بلا، بلا، بلا
4. د.ادزارد، م. هـ. ف. بوب، ف. رولنغ: قاموس الآلهة والأساطير، ط2، تعريب: محمد وحيد خياطة، بيروت/لبنان وحلب/سورية، دار الشرق العربي، 2000م
زكي ، أحمد كمال: الأساطير"دراسة حضارية مقارنة" ، ط1، 1979، دار العودة، لبنان بيروت
5. سعدون العذاري، أنغام: بنية التعبير في الفن العراقي القديم، ط 1، عمان/الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 1426 هـ/2005م
6. السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، ط2، دمشق، دار علاء الدين للنشر، 2001
7. صليبا. جميل: المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، جزء1، 1982
8. لالاند، أندريه: الموسوعة الفلسفية، (3 مجلدات)، المجلد 3ـ ترجمة: أحمد خليل، خليل ـ تعهده وأشرف عليه حصراً: أحمد عويدات ـ بيروت/لبنان ـ عويدات للطباعة والنشر ـ 2008 ـ
9. مورتكات،انطون: فنون سومر واكاد، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط1، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 1988
10. مورتكارت. انطون: تموز عقيدة الخلود والتقمص، ترجمة: توفيق سليمان، دمشق، 1985
11. نحاس، جورج.ف: أساطير الخصب الإنباتي في حضارات الشرق الأدنى الآسيوي، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 2006
12. هـ. فرانكفورت وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة (فرع بغداد)، 1982
13. هجرتي كراب، الكسندر: ولادة الأساطير (البدايات الأولى)، ترجمة : نهاد خياطة، تقديم و تعليق: خالد جعفر، ط1، مكان النشر: بلا، دار النشر: بلا، 2005
14. Jeremy Black, Anthony Green: Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary, 1992, University of Texas Press

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/3/26